مسلسل «أصحاب الأرض» وجراح أهل غزة

بقلم: الدكتورة هيا فريج

يتابعُ الغزّيون إسوة بالملايين من المشاهدين العرب المسلسلَ المصري (أصحاب الأرض) الذي يحكي قصةَ نكبتِهم بعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، معاندين بذلك كل التحذيرات بالامتناع عن مشاهدته؛ كي لا تتجدد أوجاعهم التي لم يشفوا منها، وكي لا تعادَ أمام أعينهم مشاهدُ عاشوها بدمائهم، وركام منازلِهم، ونزوحهم المتكرر إلى اللامكان واللاأمان.

لنَ أطيلَ في الكلام عن دور مصر الإقليمي، ودعمِها المستمرّ غير المنقطع للقضية الفلسطينية، فشهادتي في مصرَ مجروحة.

مصرُ العظيمة (شعبًا وقيادةً)، الحضنُ الدافئ لغزة، والحصنُ المنيعُ ضد التهجير، والسندُ الذي قدّم القوافل الإغاثية من قوتِ شعبه، ومدّ غزة بالدواء والغذاء والخيام، مصرُ بجماهيرها المليونية التي تهتف باسم القضية، وبجيشها خيرِ أجناد الأرض المجهّز لصدّ أي تهديدٍ للسيادة المصرية، وبإعلامِها المضادّ الذي ينسفُ سرديةَ السرطان المتمركز خلف الحدود.

نشاهدُ المسلسلَ بعد تحميلِ حلقاته من الإنترنت الذي يأتينا بشقّ الأنفس، فأيُّنا يمتلكُ شاشةَ تلفازَ بعد أن دُمّرَ منزله، وتنقّل بين عشرةِ منازل وسبعِ خيام؟

(مأساة لكل جيل)

لم نتلقَّ جلساتِ التعافي من الاضطرابات النفسية إثر الصدمات التي عشناها، ولم نستعدْ عافيتنا بعد سلاسل الأزمات، لكننا نكمل المسيرَ في الحياة ذاتها، متعايشين مع الصواريخ والقذائف والطيران المسيّر، التي غدت جزءًا من يومياتنا.

ليست هذه هي المرة الأولى التي توثق فيها الدراما العربية مأساة فلسطين، فقد عُرِضَ مسلسل (التغريبة الفلسطينية) عام 2004م، مثلما قصّ أجدادنا علينا في رحلة التهجير الأولى عام 1948.

لا أنسى ردود فعل جيل النكبة، كنتُ ألمحُ دموعَ الأجداد التي يمسحونها بكمّ ثوبهم، ما زلتُ أذكر كيف كانت النساءُ يلثمنَ شاشةَ الأبيض في محاولةٍ كتم الشهقات. امتنعَ العديدُ منهم عن إكمال المسلسل، إذ جاء ليعيدَ عرضَ مشاهد التهجير المغروسة في ذاكرتهم، وليذكّر الأجيال بمعاناة الأجداد، وضياعِ بلادهم.

كما عرضت الشاشات، مسلسل (الاجتياح) عام 2007 الذي جسّد حصار مخيم جنين إبّان عملية «الدرع الواقي» عام 2002م التي أعادت فيها إسرائيل احتلال الضفة الغربية.

واليومَ يعيد مسلسل (أصحاب الأرض) سرد نكبتِنا الثانية في غزة، بمشاهدَ تمثيلية واقعيةٍ ترتكزُ على حكاياتٍ حقيقية، مع تأكيدنا أنّ المأساةَ التي عشناها لا يمكن لعقلٍ بشريٍّ أنّ يتصورها.

هذه الروايةُ التي نصرخُ منذ أكثر من سنتين؛ كي نقنعَ العالمَ بها؛ علّه يوقف العدوان ضدّنا، وينهيَ جرائم الإبادة المرتكبة بحقّنا، ويأذنَ بإعادة إعمارِ بيوتنا.

(ملحٌ على الجراح)

أخذتُ جرعةً مكثّفة من المسلسل، ثلاث حلقات كفيلة بوصولي إلى التوتر الحادّ:

كل لقطة يتسرّبُ منها الملحُ إلى الجرح المفتوح، كل مشهد يلقيني فريسةً للذاكرة، كل حدثٍ يعيدُ شريطَ سنتين من الفقدِ واللوعة والحسرة.

تفرغُ بطارية الهاتف بعد مشاهدة الحلقات الثلاث، وتتركني في مواجهة الأرق المكسوّ بالدموع على الوسادات الخشنة، والتقلّب على فراش النزوح الذي لم أعتدْ عليه حتى اليوم، من ينسى؟ من يغفر؟ من يسامح؟

كنتُ ممّن رفضَ رفضًا تاماً وقاطعاً النزوح إلى الجنوب، ورددنا طويلاً ما ردده الحاج «أبو رامي» في المسلسل: «العمر واحد والرب واحد، انت بتصدق إنه في مكان آمن بغزة؟». ولنا نصيبنا بعدها من الابتلاء بالقلق والخوف والجوع ونقص الأموال والطعام والشتات.

تقطّعت عائلتي (مثلما تقطعت عائلة ناصر في المسلسل وكل عوائل غزة) بين الشمال والجنوب، وحُرمْتُ من رؤية والدي أربعة عشر شهراً، وحوصرت والدتي وجدّتي وعائلة أخي في حيّ الرمال، وبقينا قرابة الشهر محاصرين في الشمال لا نعرف شيئًا عن أخبار عائلتنا، وصُدِمنا بعدُ باعتقال أخوالنا، وحرق منزلنا.

كان سؤالُ إياد نصّار عن شارع الجلاء – الشارع الرئيس في مدينة غزة الذي يعرفه جميع أبنائها– سؤالاً تافهاً للطبيبة المصرية، لكنّ الحربَ غيرت معالم البلاد، ولعلّ ردّ أحد المارة عليه كان حقيقةً عايشناها: «مش حتعرف تمرق في اشتباكات».

فقد تفرقنا بالضبط عند مفترق الوحدة بشارع الجلاء، إذ غامرت السيارة التي تقلّ والدتي وجدتي بالمرور في الشارع، بينما ظلّ إطلاقُ الرصاص علينا وعلى جموع النازحين في المدينة، لأكثر من ساعة كاملة، ونحن ننتظرُ توقفَ الاشتباكات، أو تراجعَ حدتها؛ لنعيدَ خطواتنا للخلف، تمامًا مثلما اختبأ ناصر وسلمى منتظرين انتهاء حفلة الجنون التي يقيمها الجنود كلما شعروا بالملل أو العطش إلى الدماء.

كان القناصة المعتلون للعمارات في المدينة يمارسون هواية صيدِ البطّ، والتدرّب على إطلاق الرصاص على الرؤوس والأقدام، ولا مكانَ نهربُ فيه من الرصاص.

أخفيتُ خبرَ استشهاد جدي عن خالتي في مصر، رغم إلحاحها عليّ في السؤال، وشعورها بأن ثمّة شيئًا أخفيه عنها، مثلما فعلت الطبيبة «سلمى» مع «الحاجة عطاف» التي لم تدرِ باستشهادِ حفيدها.

اعتلتْ «سلمى» في المسلسل سطحَ المشفى؛ لالتقاط شبكة الاتصال، مثلما كنتُ أهربُ إلى السطحِ، متخذةً من ألواح الطاقة الشمسية ساتراً ضد الرصاص، أثناء وجود الجيش بالحارة؛ كي ألتقط إشارة الهاتف، لأطمئنَ أهلي الذين كانوا في الخيام جنوب القطاع، وتتلوّع قلوبهم على من تركوا في الشمال.

بكيتُ في مشهدِ قتلِ جار ناصر برصاص الكواد كابتر أثناء محاولة إنقاذ الطفل «يونس»، لا رحمةَ في قلبِ الجنديِّ، فكلُّ غزاويٍّ على الأرض ندٌّ للجنديّ، وشريكٌ في جريمة العبور. قد يشكلُ خطرًا وجوديًّا عليه، بما يحملُه من بذرةِ التمرد، التي يجب سحقُها قبل أن تصبح برعماً، الغزاويُّ يحملُ التراب في يديه، فيصير سلاحًا، وعليه فإن أثره لا يزول إلا باقتلاعه.

في حرب غزة، كان كلّ جسم على الأرض المحروقة هدفاً لا يخطئه الرصاص، في حارتنا أطلق قناصٌ الرصاص على (أشرف)، فهبّ جاره المأسوف على شبابه (غسان) لانتشال جثة جاره، فأردوه شهيدًا فوقه برصاص القناصّ نفسه، وورِيَ جثمانهما معًا في مقبرة مؤقتة مستحدثة، ثم أعيد دفنهما في مقبرة الفالوجة التي بعثرَ الجيشُ قبورها، مثلما عاث فسادًا في معظم مقابر القطاع؛ مدعيًا البحث عن جثث الرهائن.

انتفضَ جسدي مع كل صرخة لناصر على أهله بعد قصف منزلهم (عمر.. أسامة.. يونس) أتذكرُ صراخنا وسط أكوام الحجارة التي تضرب رؤوسنا وأرجلنا، ونداءنا الخافت من تحت الأنقاض متفقدين بعضنا (محمد؟ محمود؟ هلا؟ مي؟ أمانة تردّوا..).

كنتُ واعية تمامًا أرفض أن أنجرف نحو كتلة النار الملتهبة تحتنا، كنّا غرقى وسط دوّامة الانفجار التي تحاولُ سحبنا، نتشبّثُ بالحياة، نركلُ الموتَ المتربصَ، وننظرُ تحتنا إلى أنقاضِ عمارتنا التي وضع الجيش تحتها براميله المتفجرة.

لم نتكلم بعدها، كنّا مذهولين فقط، نفكّرُ في مكان يؤوينا بعد فقدان المأوى، وكيف لنا أن نفلتَ من فكّي الكمّاشة المطبقة على المخيم من كل النواحي؟

كانت نتيجة المعادلة بكل بساطة: لم نغادرْ الشمال رفضاً لترك بيوتنا، فقرّر الجيش هدمَها فوق رؤوسِنا.

استطعنا الخروج صباح ذلك اليوم إلى مكان آخر في مخيم جباليا، بينما لم يستطع جيرانٌ آخرون الخروجَ من بيوتهم بسبب وجود الآليات في الشوارع. ناشدوا الصليب الأحمر والمؤسسات الدوليةَ لتأمين خروجهم من بين الدبابات، لكن مناشداتهم لم تُسْمَعْ؛ لوجودهم في منطقة عسكرية مغلقة، وقد وصلت مناشدتهم الجيش الإنسانيّ فقرّرَ قصف منزلهم بعد ذلك؛ ليُدفنوا تحت أنقاضه.

تطرق المسلسلُ أيضًا إلى معاناتنا اليومية، من بحث الغزيين عن المكان الآمن، ومقتلهم في أثناء نزوحهم، وقصف المشافي والمدارس التي ينزحون إليها، وسقوط الضحايا في معارك الطحين، وانقطاع الماء والدواء، فقد شربنا – في شمال غزة – ماءَ البحر المالحَ، وأكلنا الطعامَ الفاسد وعلفَ الدجاج.

ورغم كل الإشادات بحرص المسلسل على إبراز حقيقة الاعتداءات، إلا أن «ناصر» وقعَ في سقطةِ إغلاق ستائر غرف المشفى وقت اقتحام الجيش له، إذ لا يوجد الجيش الإسرائيلي إلا مع غطاء ناري كثيف، ولا يكون الاقتحام بهذا الهدوء، وإنما بالصلف والهمجية والتعالي، واستعراض القوة. فلا يستطيعُ أيُّ فردٍ الحركة في أي مكان أثناء وجودَ القوات، أي أن مجرد محاولة قفل الباب، أو تحريكَ الشباك، أو إغلاق الستائر يعني فقدانَ حياتك، وحياةَ عائلتك.

حتى جاء مشهدُ إخفاء الدكتورة «سلمى» لناصر عبثيًّا، إذ أثبتت الحرب تفوّق الاحتلال العسكري والاستخباراتي والتكنولوجي، في الرصد والمتابعة والتفتيش، ولعلّ الكلّ يحكي قصته مع الدرون أو الكواد كابتر التي تقف على شبابيك البيوت، وفوق الخيام، وعلى الحواجز، وفي نقاط التفتيش تتفحص وجوه الناس، وتطلق الرصاص على كل متحركٍ من دون أي هدف.

ويكفي هذا المسلسل نجاحًا أن رسائله الناعمة والقوية قضّت مضاجعهم، وأن مشاهده التمثيلية هزّت مشاعر الملايين المتعاطفين مع القضية الفلسطينية العادلة، مؤكدةً أن صاحبَ الأرض متجذرٌ فيها، لا تهزه الريح، ولا تقتلعه العواصف.

باحثة فلسطينية من غزة

وزيرة السياحة تستضيف سفراء الدول العربية في فعالية «أمسيات المنامة» بمناسبة يوم السياحة العربي

بمناسبة يوم السياحة العربي، الذي يأتي هذا العام تحت شعار «السياحة العربية؛ جسور ثقافة وتنمية مستدامة»، استضافت فاطمة بنت جعفر الصيرفي، وزيرة السياحة، عددًا من سفراء الدول العربية المعتمدين لدى مملكة البحرين، في فعالية «أمسيات المنامة» التي تُقام في الساحة الخارجية لمسرح البحرين الوطني ضمن موسم «أمسيات رمضان».

وأكدت الصيرفي بهذه المناسبة أهمية مواصلة تعزيز التعاون العربي المشترك لتنمية السياحة البينية، وتطوير مبادرات تُسهم في دعم مسارات التنمية المستدامة، وتعزيز دور السياحة كجسر للتواصل الثقافي بين الشعوب العربية، مشيرة إلى حرص مملكة البحرين على مواصلة العمل مع الدول العربية الشقيقة في مجالات تبادل الخبرات وتطوير الشراكات، بما يعزز تنافسية القطاع السياحي في المنطقة، ويُسهم في رفع معدلات الحركة السياحية العربية.

تنظيم المنصة المشتركة للخدمات الإلكترونية الشاملة خلال الفترة 26-28 فبراير الجاري

استكمالاً للجهود التوعوية المشتركة، تنظم الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، بالتنسيق مع هيئة المعلومات والحكومة الإلكترونية، والمركز الوطني للأمن السيبراني، المنصة المشتركة للخدمات الإلكترونية الشاملة في سوق البراحة – البوابة (1)، وذلك خلال الفترة من 26 إلى 28 فبراير الجاري، من الساعة 9:00 مساءً حتى 12:30 منتصف الليل.

وتأتي هذه المنصة في إطار مواصلة تعزيز التكامل بين الجهات الحكومية، ودعم مسارات التحول الرقمي، وتسهيل وصول مختلف فئات المجتمع إلى الخدمات الإلكترونية بصورة مبسطة وآمنة، من خلال تقديم محتوى توعوي وتفاعلي يوضح الحقوق والواجبات والإجراءات التأمينية، إلى جانب إتاحة الفرصة للزوار للاستفسار والحصول على الدعم المباشر.

وتتضمن المنصة عرض خدمات المفتاح الإلكتروني (eKey 2.0)، وشاشات توعوية، وأدلة إرشادية، إضافة إلى شرح تفصيلي للإجراءات المرتبطة بالخدمات الإلكترونية الشاملة، بما يسهم في رفع مستوى الوعي بالخدمات المقدمة وآلية الاستفادة منها، وتسليط الضوء على أفضل الممارسات لحماية الحسابات الرقمية، إضافة إلى تقديم إرشادات مباشرة حول سبل الوقاية من المخاطر السيبرانية وتعزيز ثقافة الأمن الرقمي في المجتمع. وتستهدف المنصة جميع فئات المجتمع، بمن في ذلك أصحاب الأعمال، والموظفون في القطاعين العام والخاص، والمتقاعدون والمستحقون من أسرهم، إضافة إلى الشباب المقبلين على سوق العمل. ويعكس تنظيم هذه المنصة حرص الجهات الحكومية على توحيد الجهود وتقديم خدمات رقمية متكاملة تواكب تطلعات المواطنين والمقيمين، وتعزز من جودة وكفاءة الخدمات الحكومية.

إطلاق منصة «IDEA HUB» لاستقبال الأفكار الشبابية

وزيرة الشباب: توفير حاضنة وطنية تحفز الإبداع وتترجم تطلعات الشباب إلى مشاريع مؤثرة وملموسة

أعلنت روان بنت نجيب توفيقي وزيرة شؤون الشباب إطلاق منصة «IDEA HUB»، وهي محطة إلكترونية مبتكرة تهدف إلى تمكين الشباب من طرح أفكارهم ومبادراتهم التطويرية ودعم مساهمتهم في تنمية القطاع الشبابي وتعزيز دورهم في خدمة المجتمع، مؤكدة أن هذه المبادرة تأتي في إطار جهود الوزارة الرامية إلى توفير حاضنة وطنية تُحفّز الإبداع وتترجم تطلعات الشباب إلى مشاريع مؤثرة وملموسة.

وأعربت وزيرة شؤون الشباب عن فخرها واعتزازها بما يقدّمه شباب مملكة البحرين من أفكار خلّاقة ومبادرات نوعية، مشيرة إلى أن منصة «IDEA HUB» تجسّد ثقة الوزارة في قدرات الشباب، وإيمانها الراسخ بقدرتهم على قيادة مسيرة التطوير المجتمعي بأساليب مبتكرة تتماشى مع تطلعات المستقبل.

○ وزيرة شؤون الشباب.

وقالت وزيرة شؤون الشباب إن إطلاق هذه المنصة يأتي انطلاقًا من إيماننا العميق بقدرات شباب المملكة وما يمتلكونه من طاقات وإبداعات تستحق الدعم والاحتضان، معربة عن فخرها بالأفكار والمبادرات النوعية التي يطلقها شباب الوطن، التي تعكس وعيهم وإحساسهم بالمسؤولية تجاه مجتمعهم ووطنهم، مضيفة أن الهدف من منصة IDEA HUB هو توفير قناة تفاعلية تضمن إيصال صوت الشباب وتبني أفكارهم وتمكينهم من تحويلها إلى مبادرات مؤثرة، تُسهم في بناء مستقبل أكثر ابتكارًا واستدامة.

وتتيح منصة IDEA HUB للشباب فرصة مشاركة أفكارهم الجديدة والمبتكرة القابلة للتنفيذ، على أن تكون ذات صلة مباشرة بالقطاع الشبابي وتمتلك أثرًا إيجابيًا واسعًا على المجتمع. كما تفتح لهم باب المشاركة للفئة العمرية من 15 إلى 35 عامًا، لضمان استقطاب مختلف القدرات الشبابية والطاقات الإبداعية.

ويمكن للشباب تقديم أفكارهم ومبادراتهم التطويرية عبر الموقع الإلكتروني لوزارة شؤون الشباب www.mya.gov.bh، وذلك وفق شروط ومعايير محددة، أبرزها أن تتسم الفكرة بالحداثة والابتكار، وأن تكون قابلة للتنفيذ عمليًا وذات أثر إيجابي واسع على المجتمع، وأن تخدم شريحة كبيرة من فئاته، مع أهمية وضوح الفكرة وتكامل عناصرها وآليات تطبيقها.

وسيعمل فريق وزارة شؤون الشباب على تسلم الأفكار ودراستها بما يتوافق مع سياسات الوزارة، ومتابعة مراحل التطوير والتنفيذ في حال استيفائها الاشتراطات والمعايير المعتمدة، بما يضمن تحويل الأفكار الواعدة إلى مبادرات قابلة للتطبيق تُسهم في رفد القطاع الشبابي.

جامعة الخليج العربي: المجلس الرمضاني فرصة سنوية لتعزيز العلاقات بين الجامعة وشركائها

أقامت جامعة الخليج العربيّ مجلسها الرمضاني السنوي في مقرّها بالعاصمة المنامة، بحضور عدد من كبار المسؤولين، يتقدّمهم الفريق طبيب الشيخ محمد بن عبدالله آل خليفة رئيس المجلس الأعلى للصحة، إلى جانب مجموعة من الوزراء والسفراء، وعدد من القيادات من مختلف الجهات الرسمية والمجتمعية، فضلًا عن أعضاء الهيئتين الأكاديمية والإدارية، ومجموعة من طلبة الجامعة.

ورحّب رئيس الجامعة الدكتور سعد بن سعود آل فهد بضيوف المجلس، معبّرًا عن تقديره لمشاركتهم هذا اللقاء الذي يُجسّد روح الشهر الفضيل، ويؤكّد قيم التواصل والترابط الاجتماعي في المجتمع الخليجي.

وأوضح أن المجلس الرمضاني يوفّر فرصة سنوية لتعزيز العلاقات بين الجامعة وشركائها من مختلف القطاعات، ويمهّد لمساحات أوسع للتعارف وتبادل الأفكار في أجواء ودّية تعكس خصوصية هذا الشهر المبارك. كما أشار إلى أن المجالس الرمضانية تُمثّل تقليدًا راسخًا يعزّز حضور الجامعة في محيطها المجتمعي، ويُسهم في تقوية الروابط مع الجهات الرسمية، وتوطيد صلات التعاون المشترك، إلى جانب تعزيز التواصل بين القيادات الأكاديمية والضيوف من مختلف القطاعات، بما يتيح تبادل الرؤى حول الفرص والمجالات ذات الاهتمام المشترك.

وشهد المجلس أجواءً رمضانية اتّسمت بالمودّة والتفاعل، أعرب خلالها الحضور عن تقديرهم لمبادرة الجامعة في جمع هذه النخبة من المسؤولين والمهتمين، وما يتيحه المجلس من مساحة مفتوحة للتلاقي، وترسيخ قيم التواصل التي يجسّدها الشهر المبارك.